الحدث

عمير بن وهب

رضي الله عنه

كم يكون الله رحيما بعبده، عندما يهم بالشر فيدفعه إلى الخير

« يا عمير..اذهب إلى معسكر المسلمين فأتنا بعددهم وتحسس أخبارهم ».

قالها أبو جهل بن هشام قائد جيش المشركين في بدر، والذي كان يعسكر عند العدوة القصوى، لعمير بن وهب الذي ما لبث أن ركب فرسه في رشاقة وهو يقول في ثقة:

- لن يمر الكثير حتى آتيكم بما تريدون.

وانطلق عمير بن وهب بفرسه حتى إذا اقترب من معسكر المسلمين في بدر، أخذ يحوم حول المكان ويضرب ببصره الحاد في الجنود ليعرف عددهم وعدتهم.

ولم يمض وقت قصير حتى أبصر أبو جهل «عمير بن وهب» وهو قادم على فرسه، فنهض إليه يسأله في لهفة:

ما وجدت يا عمير ؟

قال عمير بثقة وهو لا زال ممتطيا جواده:

- إنهم ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون، ولكن أمهلوني أبحث في الوادي، فأرى إن كان لهم مدد، أوأنهم قد نصبوا لنا كمينا.

قال أبو جهل موافقا:

- نعم..هو كذلك، فلتذهب ونحن في انتظارك قبل أن نتخذ القرار.

ولم تمض أكثر من ربع ساعة حتى عاد عمير، ثم نزل من على فرسه ووقف بين زعماء قريش الذين تجمعوا لسماع ما أتى به من أخبار، ثم قال في لهجة تحذيرية:

- لم أجد وراءهم شيئا ، ولكن يا معشر قريش.. وجدت البلايا تحمل المنايا، ورأيت المطايا تحمل الموت الناقع، قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم..

والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجل منكم، فإن أصابوا منكم مثل عددهم، فما خير العيش بعد ذلك ؟.. فانظروا رأيكم.

لم يكن عمير بن وهب مجرد ناقل أخبار فحسب، بل كان صاحب فراسة دفعته أن يتوقع سير المعركة من مجرد رؤية عابرة لحال المعسكر الإسلامي عند بئر بدر، وبلغت به الثقة أن حذرهم من مغبة الحرب.

وكانت رجاحة عقل عمير وثقة قومه في رأيه قد دفعتا عددا من الزعماء إلى أن يقتنعوا برأيه، مما تسبب في تكوين جبهة معارضة شديدة لأبي جهل، والذي كان مصرا على الحرب مهما كانت الظروف، واستطاع في النهاية أن يكسب الموقف لصالحه، ويحمل الجيش على المعركة.

ودارت المعركة لتشهد انتصارا ساحقا للمسلمين، رج أنحاء الجزيرة العربية، بعد أن قتل فيه

العديد من زعماء قريش وعلى رأسهم أبو جهل.

أما عمير بن وهب.. فلقد عاد منكسرا محزونا، بعدما أسر ابنه في المعركة.

كانت الصدمة أكبر من أن يتوقعها أحد..

جعلت الجميع في حالة ذهول كامل مما حدث، في انتظار الفرصة التي يثأرون فيها لأهلهم، ويستعيدون بها كرامتهم وهيبتهم في الجزيرة العربية.

أما عمير.. فلقد أكل الغيظ قلبه مرتين: مرة لهزيمة قريش في بدر، ومرة من أجل ابنه الذي وقع أسيرا في أيدي المسلمين.

ولم يكن الحديث لينتهي بما تجيش به النفوس، في كل مجالسه مع صديقه صفوان بن أمية، والذي كان يأكله الحقد هوالآخر على مقتل أبيه أمية بن خلف في نفس المعركة.

فما أن يجتمع الاثنان، حتى تطل الذكريات المؤلمة عليهما، فتغشى المكان والزمان بالأسى والحزن..و..

« والله ما في العيش بعدهم من خير ».

نطق بها صفوان بن أمية في حسرة لعمير بن وهب الذي هز رأسه موافقا وهو يقول في أسى:

- صدقت يا صفوان.

ثم تابع وهو يضرب بعينيه في الفراغ قائلا:

- والله لولا دين على لا أملك قضاءه، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي، لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي عنده علة أعتل بها عليه، هي ابني الأسير.

وهنا نهض صفوان في حماسة قائلا:

- إن كان حقا ما تقول يا عمير..فعلي دينك، أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا.

ويبدوأن «عميرا» كان جادا إلى الدرجة التي وافق بها على عرض صفوان، قبل أن يضع يده على كتفه ويقول له بنبرة حاسمة:

- إذن فاكتم شأني وشأنك يا صفوان.

ثم تابع وهو يجمع كل ما جسده من غل:

- اكتمه حتى أحدث أمرا عظيما.

ولقد كان ما ينتويه عمير أمرا عظيما بالفعل..

فلقد شحذ عمير سيفه وغمسه في السم، واتجه إلى المدينة..

وبينما كان صفوان يودعه بكل حرارة، كان عمير بن وهب يبتعد ويبتعد مسرعا في اتجاهه إلى المدينة، وهو يحلم باللحظة التي يحقق فيها مخططه.

اغتيال الرسول ﷺ:

« إنه عدوالله، عمير بن وهب، والله ما جاء إلا بشر ».

هتف بها عمر بن الخطاب في ضيق وهو يقف وسط عدد من أصحابه أمام المسجد، عندما لمح عمير بن وهب وقد أناخ راحلته أمام باب المسجد وهو شاهر سيفه، وما أن رآه حتى ذهب إلى الرسول ﷺ وقد قطب جبينه قائلا:

- يا نبي الله، هذا عدوالله عمير بن وهب، قد جاء متوشحا سيفه.

قال له الرسول ﷺ في هدوء:

« أدخله علي يا عمر ».

سار عمر إلى عمير، ثم أخذ بحمالة سيفه فجعلها في عنقه ثم التفت إلى عدد من رجال الأنصار قائلا لهم في حسم:

- ادخلوا على رسول الله ﷺ، فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غير مأمون.

ودخل عمر على النبي ﷺ وهوآخذ بحمالة سيفه في عنقه، فما أن رآه الرسول ﷺ حتى قال له في رفق:

« دعه يا عمر ».

ثم نظر إلى عمير نظرة من يعرف النوايا قائلا:

« اقترب يا عمير..اقترب ».

اقترب عمير وهو يحاول أن يتجاهل تلك النظرات التي تصوب عليه من كل اتجاه، وجلس وهو يقول للرسول ﷺ في ابتسامة مصطنعة:

- عمت صباحا.

قال له الرسول ﷺ ولازالت نظراته تتحدث قبل كلماته:

« لنا تحية خير من تلك يا عمير..السلام تحية أهل الجنة ».

ثم لاحقه الرسول ﷺ قائلا في حسم:

« ما جاء بك يا عمير ؟ »

قال عمير في توسل:

- جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم.

قال الرسول ﷺ وهو يرسم الغرابة على وجهه:

« فما بال السيف في عنقك ؟! ».

أجاب عمير بخبث متصنعا الندم:

- قبحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئا ؟!

هنا بدت نظرات الرسول ﷺ قوية وهو يقول لعمير:

« يا عمير..اصدقني القول، ما الذي جاء بك إلى هنا ؟ ».

قال عمير محاولا أن يخفي ارتباكه:

- ما جئت إلا لذلك، أن استأذنك في رد ابني الأسير.

علا صوت الرسول ﷺ وهو يقول في ثقة هزت «عمير بن وهب » من داخله هزا:

« بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب في قريش، ثم قلت: لولا دين على وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمدا، فتحمل صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني، والله حائل بيني وبين ذلك».

نهض عمير وقد ملكته دهشة ما ملكته في حياته، وظل واقفا لبرهة دون أن يتحدث وهو يسترجع حديثه مع صفوان ، ثم قال بصوت خفيض وقد بدا عليه الذهول:

- هذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان !!

وما هى إلا لحظات حتى كان الرجل - الذي شحذ سيفه ودسه في السم وقطع الصحراء ليقتل رسول الله ﷺ - بين يدي رسول الله ﷺ، يشهد بأن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

ووقف عمر بن الخطاب والصحابة من حوله غير مصدقين ما حدث، غير قادرين على استيعاب ذلك التحول الرهيب في شخصية عمير في دقائق معدودة.

حتى بعد أن صدقه الرسول ﷺ - وهوالذي جاء ليقتله - وأمرهم بأن يعلموه الإسلام وأن يطلقوا سراح ابنه الأسير.

إلا أن عقل عمير لم يتركه يكف عن التفكير..أو تصديق كل هذا الكم من التسامح الذي قابل به الرسول ﷺ من يريد قتله، وهو يعلم قبل أن يدخل عليه..

وبابتسامة رقيقة، محا الرسول ﷺ كل العداوة وطوى صفحة مريرة لمجرد أنه دخل في الإسلام منذ دقائق، وها هو يتلقى التهاني من أناس كانوا يخشون على الرسول ﷺ منه منذ قليل.

لقد شعر عمير في هذا الموقف بقيمة هذا الدين وصدق رسالته وعظم أخلاقه.. فما كان له إلا أن يؤمن بنبي هذا الدين.

وما إأن أفاق عمير مما حدث، حتى قرر أن يغير اتجاهه إلى مكة، حاملا معه أفكارا جديدة ونوايا جديدة وحماسا جديدا.

فلقد ذهب إلى الرسول ﷺ قائلا:

- يا رسول الله.. إني كنت جاهدا على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله، وإني أحب أن تأذن لي فأقدم مكة، فأدعوهم إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ وإلى الإسلام، لعل الله يهديهم، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أوذي أصحابك في دينهم.

ثم تابع في صدق:

- والله لا أدع مكانا جلست فيه بالكفر، إلا وجلست فيه بالإيمان.

وبدأ عمير يفكر في خطته الجديدة..

الخطة التي سيفاجئ بها مكة كلها..

وعلى الأخص صديقه الحميم..

صفوان بن أمية.

* * *

« أبشروا بحدث يأتيكم بعد أيام، ينسيكم ما حدث في بدر ».

كانت هذه الجملة، هي الجملة التي يحرص أن يقولها صفوان بن أمية بكل بشر وفخر، في كل مجلس يجلس فيه في قريش.

كان يتحايل على الحديث حتى ينتهي به إلى ما حدث في بدر، ثم يطلق نبوءته التي ظل يكررها حتى ملأ بها شوارع مكة.

وفي الصباح.. كل صباح.. كان يخرج إلى حدود مكة ليسأل القوافل التجارية الآتية من المدينة في لهفة وشوق قائلا:

- ألم يحدث بالمدينة أمر ؟

فيجيبه أصحاب القوافل قائلين:

- الأمور عادية، ولم يحدث أمر ذي بال.

إلا أن «صفوان» ظل على سؤاله لكل من يأتي من المدينة..

وأخيرا جاءته الإجابة من أحدهم..

إلا أن الإجابة.. لم تكن تلك الإجابة التي كان ينتظر سماعها بشوق منذ أيام..

فلقد جاءته الإجابة هذه المرة كالصاعقة.

صاعقة اهتز لها كيانه كله، وجعلت عينه تشرف على البكاء..

« لقد أسلم عمير بن وهب، وهو هناك يتفقه في الدين ويتعلم القرآن ».

هكذا قال الرجل المسافر إلى صفوان بن أمية، والذي انهار فور سماع الخبر.

وعاد صفوان إلى بيته مهموما لا ينبس ببنت شفة، وقد انتهى حديثه عن نبوءته السارة التي ستنسي قريشا ما حدث ببدر، ليحل محلها خبر لن يستطيع أن يتلفظ به.

كان الأمر شديدا وقاسيا على صفوان بلا شك..

لكن الأشد والأقسى.. هو ما حدث بعد ذلك..

فلقد عاد عمير بن وهب إلى مكة، عاد إليها داعية إلى الله وإلى الإسلام.

وما أن رآه صفوان،حتى تفجر كل الغيظ الذي اختزنه بداخله، واندفع إليه يريد أن يهاجمه، إلا أنه ما لبث أن تراجع بعدما رأى «عميرا» شاهرا سيفه مستعدا للقتال.

وهنا اكتفى صفوان بأن يطفئ بعضا من ناره ببعض من الشتائم التي رفع بها صوته لعمير، الذي تلقاها دون أن يرد عليه.

وبدأ عمير خطته الدعوية في مكة..

واستغل عمير شجاعته ومكانته ورجاحة رأيه، في أن يستقطب الكثير والكثير من أهل مكة.

ونجحت خطته نجاحا باهرا..

وما هي إلا بضعة أسابيع.. حتى كان عمير بن وهب سببا في إسلام العديد من أهل مكة.

وللمرة الثالثة يتوجه عمير بن وهب للمدينة...

ولكنه كان هذه المرة على جمله، يتلو آيات من القرآن الكريم، وهو يقود وراءه موكبا كبيرا من المؤمنين إلى رسول الله ﷺ، يهللون ويكبرون.

وينظر المسلمون في المدينة إلى موكب عمير، فيحمدون الله، ويدركون شيئا من عجائب نفس الإنسان، التي لا يعرف سرها إلا خالقها.

ويدخل حب عمير قلوب المسلمين، حتى يقول عمر بن الخطاب:

- والذي نفسي بيده، لخنزير كان أحب إلي من عمير حين طلع علينا، ولهوالآن أحب إلي من بعض ولدي!

ورغم أن السنين كانت قد باعدت بينه وبين صديقه صفوان..

ورغم أن المسافة بينهما أصبحت أبعد مما بين مكة والمدينة..

ورغم أن العداوة بينهما باتت ظاهرة لا تخفى على أحد..

إلا أن «عميرا».. كان لا يزال يحب له الخير...

إنه التسامح وحب الخير للآخرين، أول درس تعلمه عمير في الإسلام.

ولقد كان يوم فتح مكة، هواليوم الذي حقق فيه عمير الخير لصديقه..

ففى هذا اليوم، كان حماس عمير كبيرا لأن يقنع صديقه صفوان بدخول الإسلام، إلا أن صدمة صفوان مما رأى يوم الفتح، وخوفه من انتقام المسلمين، دفعاه إلى أن يشد رحاله ليهرب إلى اليمن.

واشتد إشفاق عمير على صفوان، وصمم على أن ينجيه من براثن الشيطان، فذهب مسرعا إلى رسول الله ﷺ قائلا له في لهفة وتوسل:

- يا نبي الله، إن صفوان بن أمية سيد قومه، وقد خرج هاربا منك، فأمنه على نفسه.

ولم يكن النبي الذي عفا عن مكة كلها ليرد طلب عمير، فقال على الفور :

« هو آمن يا عمير، هو آمن » .

قال عمير:

- يا رسول الله، فأعطني آية يعرف بها أمانك.

فأعطاه الرسول الكريم ﷺ عمامته التي دخل بها مكة.

وعلى الفور..أخذ عمير العمامة وانطلق بها مسرعا، محاولا اللحاق بصفوان.

وما أن أدركه عمير قبل أن يركب البحر، حتى ناداه بأعلى صوته قائلا:

- يا صفوان..الله الله في نفسك أن تهلكها، هذا أمان رسول الله ﷺ قد جئتك به.

وما أن اقترب منه عمير، حتى التفت إليه صفوان قائلا في غضب:

- ويحك..اغرب عن وجهي فلا تكلمني.

أمسك عمير بذراعي صفوان وقال له في حنان وهو يبتسم:

- يا صفوان..إن رسول الله ﷺ أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس، عزه عزك وشرفه شرفك.

ولأول مرة يجد عمير وجه صفوان قد تغير، وقد أدار رأسه قائلا في خجل:

- يا عمير..إني أخاف على نفسي.

أمسك عمير بوجهه لتقع عيناه على عينيه وهو يقول في رفق:

- يا صفوان..إن رسول الله ﷺ أحلم من ذاك وأكرم.

وأخذ عمير صديقه القديم «صفوان» من يده، ليعودا إلى مكة حيث رسول الله ﷺ..

ويجلس صفوان أمام الرسول ﷺ ليقول في انكسار وخجل:

- إن «عميرا» يقول: إنك أمنتني على نفسي.

قال الرسول ﷺ في حسم:

« صدق » .

رفع صفوان عينيه بصعوبة إلى الرسول ﷺ وهو يقول:

- فاترك لي مهلة شهرين..أفكر في الأمر .

قال له الرسول ﷺ:

« أمامك أربعة أشهر ».

وهنا تثبت عينا صفوان على عينى الرسول ﷺ، ويسكت للحظات.. ليفاجأ بنفس التسامح الذي فوجئ به عمير بن وهب يوم أسلم.

وتمر الأيام.. ويدخل حب رسول الله ﷺ قلب صفوان شيئا فشيئا..

ولم يعد صفوان في حاجة لأربعة أشهر كي يفكر.

ولا شهران..

لقد أسلم صفوان سريعا.

ليعود عمير وصفوان صديقين متحابين مرة أخرى ..

ولكن..

في سبيل الله.

* * *

دروس وتحليل

١ - قد تتراءى الحقيقة أمام الإنسان ولكنه يصر على الخطأ رغم ذلك (عمير بن وهب يؤمن بمجرد تأكده واقتناعه بحقيقة الرسول ﷺ).

قد يكون الواحد منا في غاية الذكاء، ولكن مشاعر الغل والحقد والانتقام، تجعله دائما لا يرى الحقيقة ولا يريد أن يرى الحقيقة، ودائما يسعى بكل جوارحه لأن يقنع نفسه بعكسها، وحقيقة الرسول ﷺ كان يدركها على وجه اليقين العديد من أسياد قريش، ولكن أسبابا خاصة بالزعامة والثأر والتجارة، دفعتهم لأن يظلوا يحاربونه سنوات طويلة، فظلوا يصرون على الخطأ رغم تأكدهم من خطأهم..

هذا هو عمى القلب الذي يحذرنا منه القرآن ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦].

إن الذي يصر على الخطأ رغم تأكده من الحقيقة، سيسير في طريق الكبر الذي سيؤدي به إلى بغض الناس وخسارة الجنة «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر**» وبعد ذلك..سيتجرع مرارة الخطأ الذي أصر عليه رغم علمه به، وستجبره الأيام يوما على السير في الطريق الصحيح.

إن الهداية نعمة كبيرة من الله، فهى تعنى البصيرة ورؤية الحق واتخاذ القرار الصحيح باتباعه، ثم القدرة على ذلك، فقد نرى الحق، ولكن تدفعنا عدم القدرة على اتباعه على محاربته واتهامه اتهامات باطلة، لنبرر لأنفسنا ما نفعل، ولكن مع الأيام.. حتما ستتضح الأمور وتظهر الحقائق رغما عن الجميع.

٢ - التجارب تقول: إن النفوس قد تنقلب انقلابا مذهلا، وهذا أمر يعطينا الأمل وفي نفس الوقت يشعرنا بالخوف (عمير بن وهب يعود إلى مكة مسلما بعد أن كان ذاهبا لاغتيال الرسول ﷺ).

ما حدث لعمير بن وهب يعطينا الأمل في أن النفوس مهما رأيناها سيئة فلابد أن يكون هناك أمل في تغيرها، وهذا يعنى أن هناك جوانب في النفس لا نراها، وإنما نرى فيها فقط الجوانب التى تنبئ عنها الشخصيات بتصرفات صاحبها وسلوكه. لقد خلق الله النفس..أي نفس..وهى تحمل الخير والشر بين جنبيها، والمواقف التى تتعرض لها هذه النفوس والشخصيات التي تتفاعل معها، هي التي لها القدرة على إبراز الجوانب الإيجابية والسلبية فيها.

على الجانب الآخر.. فإني أرى أن تقلب النفوس جدير بأن يكون مدعاة للتخوف والقلق، حتى يحرص الملتزم على نفسه، فلا يفتن ويستسلم لضغوط الدنيا العنيفة، ويبدأ بعدها في تقديم سلسلة من التنازلات التي لا تنتهي، ثم يجد نفسه في النهاية قد فرط في مبادئه وتنازل عن الكثير مما آمن به ودعا إليه.

« إن القلوب بين إصبعي الرحمن، يقلبها كيف يشاء » .

فلندع الله بالهداية للمسيء والتثبيت للمحسن، ولنكثر من دعاء الرسول ﷺ:

« اللهم يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك ».

٣- حب الهداية هوأقوى دليل على حب الصديق لصديقه (عمير بن وهب يحاول جاهدا أن يدخل صديقه صفوان الإسلام...وينجح) .

عندما يحب الصديق صديقه، يحب له الهداية والبعد عن المعاصى ودخول الجنة، والصداقة اليوم هى التى تجلب المعصية.. فتجعل غير مدخن مدخنا، وتجعل الشاب الملتزم يعرف طريقه للقاء الفتيات، والذهاب لأماكن الرذيلة.

إن الصديق يدعو صديقه اليوم إلى ما يضره، دون أن يدري أنه يفسد عليه دينه وأخلاقه، وربما عمله وأسرته.

إن الصداقة الحقيقية، هى الصداقة التى يظللها حب الله وطاعته، وتحميها النصيحة الصادقة ومعاني الوفاء والنصرة في الحق والتعاون على الخير.

إن خطورة الصداقة..أن الصديقين لابد أن يركبا مركبا واحدا، تتحد فيه الأفكار والمبادئ والأهداف والوسائل، وهوأمر إذا لم يراجع من الطرفين، سيؤدي حتما إلى فساد الدنيا وضياع الآخرة.

« المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » [حديث شريف].

* * *